العادي . ولا يليق بنا ان نطلب من واضعي الروايات ان يصوروا لنا غير ما صوروه بل علينا ان نحقق امام اعيننا بشرية اسمى واكمل وهم ياخذون عنها ويكتبون

خيرالله خيرالله

قديسة المستقبل

خطاب للمتنبي، الحسناء القاه في حفلة عيد القديسة كاترينا في مدرسة زهرة الاحسان

نهارك سعيد — ياسيدات — بأنسكن وبالعيد المجيد سعيد . فان عيداً يجمعنا اليوم كباقة الزهر برئاسة ذي السيادة راعينا الجليل . عيد شفيعة زهرة الاحسان (القديسة كاترينا) ذات المبدإ القويم ضحية الواجب . عيد الجمعية والرهبنة والمدرسة هو عيد اذا تأملنا ملياً فيه وفكرنا كثيراً في دواعيه شعرنا لامحالة بشيء من السعادة الروحية توسع لامانينا ابواب المستقبل وتقوي فينا ضعيف الامل . وما اشقى الحياة بلا آمال

نحن اليوم في فصل من السنة يسمونه الخريف بل نحن ايضاً في اواخر هذا الفصل والشتاء قريب منا وبعد بضعة ايام يصل الينا ونصل اليه فنتلاقى اذاً في طريق الحياة ولا بد لنا منه

فالتفتن ياسيدات الى الطبيعة . تأملن قليلاً فيها . انظرن اليها هنيهة فترين اوراق الاشجار مصفرة وبعض الاغصان عارية وتبصرن الاوراق متناثرة مبعثرة

مشهد مكمد يؤثر في النفس تأثيراً عميقاً . لاحظنه بعد شهرين فترينه قد ازداد اكماداً وتأثيراً . اي كلا اوغلنا في الشتاء يشتد اكماد الطبيعة الى ان تبدو تباشير الربيع فتبسم كصباح صاف بعد ليل مغيم .

ولو كنتن في غير هذه المدينة اي في الجبال والاماكن المثلجة الباردة لو كنتن في اعالي لبنان او في داخلية سوريا وان شئتن الابتعاد ففي شمالي آسيا او في اوروبا واميركا لرايتن من اكماد الطبيعة بين اواخر الخريف واوائل الشتاء ما قلما تستطعن تمثله باذهانكن حتى انكن مبهورأيتن في الطبيعة من الاكماد . مبهوراً يتن الاوراق مصفرة والاغصان عارية والجزوع محمرة ولا بد من بقعة صغيرة تجود بزهرة تؤمل بالربيع . مهما عصفت الريح واشتد المطر وتكاثف الثلج لا بد من زاوية يثبت فيها ورقة خضراء . وكفى بهذا باعثاً للامل

اندع المنظور ونعد للعقول لنبعد عن المادة ونقرب من الروح لنتغاض عن العين والاذن والانف واللسان واليد ونكتفي فقط بالفكر . بالفكر الخالد فقط نكتفي وهو حسبنا ونعم الدليل

لولا افتكارنا بان الربيع يعقب الشتاء لما خفت علينا وطأة هذا الفصل . لما خضنا السيل واستسهلنا الزمهرير

ان النتائج تدرك من المقدمات والاسباب تعلم من المسببات وما زالت الزهرة الواحدة في الحقل الكبير ابان الشتاء تؤمل في الربيع . ما زال الفكر يدلنا عليه بانه لا محالة آت بناء على معرفتنا ناموس الطبيعة كما تعودنا مراراً منذ خلق العالم . وطالما الانسان ابن التربية وهو لا يحصد الا ما يزرع . وما دام التاريخ يعيد ذاته واحوال الناس تقاس بعضها على بعض . فاننا نستطيع تقدير المستقبل . واريد منه الآن مستقبل المرأة وكيف تكون قديسة المستقبل

امل عظيم للناس في المرأة ياسيدات تبدو أشعته في كل يوم لنا . امل يتجسم مع الايام وسيتحقق بعناية الله . لان هذا المخلوق اللطيف الحسن شطر الانسانية الثاني سائر في سبيل العلم والادب يهذب نفسه ويدمث اخلاقه وعامل على ترقية عقله وتوسيع مداركه . ولا شبهة في ان ترقي العالم متوقف على المرأة اكثر منه على الرجل بالنسبة لكونها المربي الاول للانسان . وانها حيثما كانت منحطة لحق الانحطاط بالامة كلها والعكس بالعكس

فكيفما التفتنا نرى المدارس للبنات مشيدة نرى الجمعيات لتعليمهن مؤلفة . نرى منهن المتعلمة المتهذبة والمستنيرة الراقية . كلها بوارق آمال نراها مجسمة . كلها تدل على ان هذا الانسان المهضومة حقوقه من سالف الازمان آخذ باسترداد تلك الحقوق وانه لم يعد عبداً ذليلاً او سلعة تقتنى

وناموس تنازع البقاء القاضي ببقاء الانسب سنة العمران منذ وجد الانسان . وتقدم البشر المستمر يؤكد لنا امكان بلوغ المرأة ذرى الفضائل وارتدائها اثواب القداسة بارادتها واختيارها لا تلبساً وخداعاً كما يتوهم البعض . لانها تضطر الى ذلك بعامل الترقي العام وتندفع بتيار الانسانية الشاملة الى حيث تتمكن من القيام بواجباتها والتمتع بحقوقها على ما يرام .

واذا كانت العصور الماضية قلت من النابغات والقديسات فالآتية ستكثر منهن وربما ارتنا في كل بيت قديسة

مهلاً سيداتي قد تدهشن كثيراً من هذا القول وقد تهزأن بي وتضحكن مني متسرعات بالحكم علي لظنكن هذا العصر غير عصر قداسة وان زمن التطويب كان له عهد ومضى وقد تتساءلن مستغربات من اين لكن هذا المجد وبنات الجيل الحاضر بعيدة لا تنقشعن حتى ولا يصمن ولا يصلين بل بعضهن لا يحسن رسم الصليب . وان لا عبرة بمن يكثرن التردد

الى الكنائس حيث المعارض للازياء والمسارح للانظار . وان التهافت على الاعمال الشائنة والملاهي المضرة يزداد والاقلات من قيود الواجبات والتطوح والجموح بتكاثر . وان الاهتمام بالظواهر دون البواطن وايثار الجسد على النفس . آخذ مجراه وان .. وان ... الى غير ذلك مما تحسبنه مبيداً للقداسة عن وجه الارض

بيد أن التساؤل بالاستغراب لامجال له الان ما زالت الاوانس الفاضلات والسيدات المدركات يزددن يوماً فيوماً . وما زال العلم والادب رائد النفوس والفضل مطمح الابصار ما دام الدين من اهم حاجات الانسان الروحية . وما دامت المرأة موجهة ابصارها الى الفضائل وعاملة على تعزيزها بالمعارف وتأييدها فيها بالممارسة ولو ببطء . ومهما بلغ الناس من قلة المتعلمات بالنسبة لكثرة الجاهلات ومن ندرة الصالحات بالنظر لوفرة غير الصالحات فان الأنسب باقٍ ولا يبقى غير النافع

ولي من زهرة الاحسان ومنكن دليل أعزز به حديثي الان . من كانت تؤكد ان هذه العصابة الكريمة من بنات الفضل تنجح في سعيها هذا النجاح الباهر ؟ من تحققت انها تفوز هذا الفوز ؟ من ظن أن الجمعية تعيش ثلاثين عاماً ؟ من قدرت أن المدرسة تظل لليوم ؟ ومن افتكرت بانه ينشأ رهبنة فيها ومنها ولها ؟ وهل خطر على بال امهاتكن الواتي لم يذقن طعم هذه الاجتماعات العمومية انكن تتلذذن بها ؟ هل توهمن بكن التجلد على الاصغاء لخطيب ؟

ها زهرة الاحسان واثنن يا ازاهر البشرية برهاني . ولي من البراهين بغيركن عدد وافر . وكما ان الناظر الى الطبيعة في الخريف او في الشتاء يرى من خلال اكمادها بصيص نور الربيع والمتأثر من منظر الاوراق مصفرة والاشجار عارية يخفض نظره الى الارض ليمتعه بجمال اخضرار النبات . هكذا المتأمل في الناس يرى من خلال مفاسدهم فضائل باهرة والمستطلع لاحوالهم اذا لم يجد بين احدى طبقاتهم فاضلة رآها في غيرها . ولا تخلو جماعة من فاضلة . ومجرد وجود فاضلة واحدة في قوم دليل حسن فكيف بوجود عدة فاضلات

هذا ما يمكنني من محادثتكن عن امكان تكاثر القديسات في المستقبل وذلك بخلاف ما تتوهمن و يتوهمه معكن كثير من الرجال وقد كنت اود لو فسح لي الوقت لاحدثكن باسهاب عن القديسات الماضية والحاضرة والمستقبلة . كما بدا لي عند ما دعتني زهرة الاحسان لاخطب في هذه الحفلة . ولكنني اكتفيت بقديسة المستقبل لانها آتية . والاستعداد للآتي خير من اعادة ذكر ماض

له بقية